

رمضان.. مائدة رحمانية



تضمّنت كثير من الروايات وصف شهر رمضان بأنّه شهر [] وذلك تبياناً لرفعته ومكانته وعظيم الجزاء الذي أعده فيه لعباده، فحينما تنسب مناسبة لدعوة أو وليمة لشخصية سياسية مهمة كرئيس دولة أو مقام سياسي رفيع، أو شخصية اجتماعية ذات شأن بارز، فإنّ الناس تتوقع منها ما يناسبها من حفاوة وتكريم وخصوصية في البذل والعطاء والتي تناسب مع شأن الداعي وقدرته السلطوية أو الشأنية المتميزة، فكيف إذا كانت هذه الدعوة هي من خالق الخلق ومالك الملك ومدبّر الأمور ومجريها بإرادته وأمره وهو على كلّ شيء قدير؟ فلا شكّ أنّها ستكون بما لا يتصوره العقل من العطاء والفضل والهيبة الإلهية العظمى فإنّ الهدايا على قدر مهديها، وهكذا كان الواقع فقد جعل [] من كرمه وفضله خصوصية من الثواب العظيم لكلّ ثانية من الشهر وليست لكلّ ساعة أو يوم وهو ما تحدّثت عنه الروايات الكثيرة في أهمية هذا الشهر. خطب رسول [] (ص) في آخر جمعة من شعبان فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ [] بِالْبِرِّكَاتِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ [] أَفْضَلُ الشُّهُورِ، وَأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ، وَلَيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِي، وَسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَاتِ. هُوَ شَهْرٌ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلَى ضِيَاةٍ []، وَجُعِلْتُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرَامَةٍ []، أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ، وَنَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ، وَعَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ، وَدُعَاؤُكُمْ فِيهِ مُسْتَجَابٌ. فَاسْأَلُوا [] رَبِّكُمْ بِنَدِيَّاتٍ صَادِقَةٍ وَقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ أَنْ يُؤَفِّقَكُمْ لِمَصِيَامِهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ؛ فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَن حُرِمَ غُفْرَانَ [] فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ. وَادْكُرُوا بِجُوعِكُمْ وَعَطَشِكُمْ فِيهِ جُوعَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَعَطَشَهُ، وَتَصَدَّقُوا عَلَى فُقَرَائِكُمْ وَمَسَاكِينِكُمْ، وَوَقِّرُوا كِبَارَكُمْ، وَارْحَمُوا صِغَارَكُمْ، وَصَلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَاحْفَظُوا أَسْنَدَكُمْ، وَغُضُّوا عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ أَبْصَارَكُمْ، وَعَمَّا لَا يَحِلُّ الْإِسْتِمَاعُ إِلَيْهِ أَسْمَاعَكُمْ، وَتَحَدَّثُوا عَلَى أَيْتَامِ النَّاسِ يُتَحَدَّثَنَّ عَلَى أَيْتَامِكُمْ، وَتُوبُوا إِلَى [] مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَارْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيَكُمْ بِالِدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ صَلَاتِكُمْ؛ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ السَّاعَاتِ، يَنْظُرُ [] عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا بِالرَّحْمَةِ إِلَى عِبَادِهِ، يَجِيبُهُمْ إِذَا نَادَوْهُ، وَيُلَاقِيهِمْ إِذَا نَادَوْهُ وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَوْهُ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَنْفُسَكُمْ مَرهُونَةٌ بِأَعْمَالِكُمْ فَفَكِّوْهَا بِاسْتِغْفَارِكُمْ، وَطَهِّرْكُمْ بِثَقِيلَةِ مَن أَوْزَارِكُمْ فَخَفَّفُوا عَنْهَا بِطَوْلِ سُجُودِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ [] - تَعَالَى ذِكْرُهُ - أَقْسَمَ بِعِزَّتِهِ الْأَلَّا يُعَذِّبَ الْمُصَلِّينَ وَالسَّاجِدِينَ، وَلَا يَرَوْعَهُمْ بِالنَّارِ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. أَيُّهَا النَّاسُ، مَن فَطَّرَ مِنْكُمْ صَائِمًا مُؤْمِنًا فِي هَذَا الشَّهْرِ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ [] عِتْقٌ نَسَمَةٍ وَمَغْفِرَةٌ لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ []، وَلَيْسَ كُلُّنَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ! فَقَالَ (ص): «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشُرْبَةِ مَن مَاءٍ. أَيُّهَا النَّاسُ، مَن حَسَّنَ مِنْكُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ خُلُقَهُ كَانَ لَهُ جَوَازٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَنْزِلُ فِيهِ الْأَقْدَامُ، وَمَن خَفَّفَ

في هذا الشهر عمّا مَلَكَت يَمِينُهُ خَفَّفَ □ عنه حَسَابَهُ ، وَمَنْ كَفَّ فِيهِ شَرَّهُ كَفَّ □ فِيهِ غَضَبَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وَمَنْ أَكْرَمَ فِيهِ يَتِيمًا أَكْرَمَهُ □ يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وَمَنْ وَصَلَ فِيهِ رَحِمَتَهُ وَصَلَهُ □ بِرَحْمَتِهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وَمَنْ قَطَعَ رَحِمَتَهُ قَطَعَ □ عَنْهُ رَحْمَتَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وَمَنْ تَطَوَّعَ فِيهِ بِصَلَاةٍ كُتِبَ لَهُ بِرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فِرْصًا كَانَ لَهُ ثَوَابٌ مِنْ أَدَى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الشُّهُورِ ، وَمَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ □ ثَقَّلَ □ مِيزَانَهُ يَوْمَ تَخَفَّفَ الْمَوَازِينُ ، وَمَنْ تَلَا فِيهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَانِ فِي هَذَا الشُّهُورِ مَفْتُحَةٌ ، فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ الْأَلَّ بِغَلِقِهَا عَلَيْكُمْ ، وَأَبْوَابَ النَّيْرِ مَغْلُوقَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ الْأَلَّ بِفَتْحِهَا عَلَيْكُمْ ، وَالشُّبَّاطِينَ مَغْلُوقَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ الْأَلَّ بِسَلْطِهَا عَلَيْكُمْ .» .

قال أمير المؤمنين (ع) : فَقُمْتُ وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ □ ، مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشُّهُورِ ؟ فَقَالَ : « يَا أَبَا الْحَسَنِ ، أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشُّهُورِ الْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ □ عَزَّ وَجَلَّ .» . ثُمَّ بَكَى ، وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ □ ، مَا يُبْكِيكَ ؟ فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ، أَبْكِي لِمَا يَسْتَحِلُّ مِنْكَ فِي هَذَا الشُّهُورِ ، كَأَنْزِي بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي لِرَبِّكَ ، وَقَدْ أَنْبَعَثَ أَشْقَى الْأَوْلِيَاءِ وَالْآخِرِينَ ، شَقِيقُ عَاقِرٍ نَاقَةٍ ثَمُودٍ ، فَضَرَبَكَ ضَرْبَةً عَلَى فَرْقِكَ (فَرَزِكَ) فَخَضَّبَ مِنْهَا لِحْيَتَكَ .» . قال أمير المؤمنين (ع) : وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ □ وَذَلِكَ فِي سَلَامَةٍ مِنَ دِينِي؟ فَقَالَ (ص) : « فِي سَلَامَةٍ مِنَ دِينِكَ .» . ثُمَّ قَالَ (ص) : « يَا عَلِيُّ ، مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَ نَبِيَّ ، وَمَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أَبْغَضَ نَبِيَّ ، وَمَنْ سَبَّكَ فَقَدْ سَبَّ نَبِيَّ ؛ لِأَنَّكَ مِنْ نَبِيِّ كَنَفْسِي ، وَرُوحُكَ مِنْ رُوحِي ، وَطِينَتُكَ مِنْ طِينَتِي . . . » . فهذا الفصل العظيم الذي أوصحه الحديث النبوي هو بعض من عطاء □ ورحمته في هذا الشهر بالإضافة إلى الأحاديث الأخرى عن النبي وأهل بيته (عليهم السلام) التي أوضحت بعض الخصائص الأخرى لهذا العطاء الإلهي العظيم الذي لا يقدر عليه سواه ، ومن ذلك ما يلي: عن النبي (ص) أنه قال: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ □ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" . فكان الشهر يعدل حجابًا آخر لعباده إذ يعود الإنسان كيوم ولدته أمّه عند أداء الصوم بشروطه الكاملة في شهر رمضان . عن أمير المؤمنين (ع) في شرح بعض فضائل الشهر المبارك قال: "لما حضر شهر رمضان قال رسول □ (ص) فحمد □ وأثنى عليه ثم قال: أَيُّهَا النَّاسُ كَفَاكُمْ □ عَدُوَّكُمْ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ، وَقَالَ: (رَبُّكُمْ أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر/ 60) ، ووعدكم الإجابة ، ألا وقد وكَّلَ □ بكلِّ شيطانٍ مريدٍ سبعةً من ملائكتِهِ ، فليس بمحلولٍ حتى ينقضي شهركم هذا ، ألا وأبواب السماء مفتوحة من أول ليلةٍ منه ، ألا والدُّعاء فيه مقبولٌ" . وعن الإمام الصادق (ع) قال: "الصائم في عبادةٍ وإن كان نائمًا على فراشه ما لم يغترب مسلمًا" . وعن الإمام الباقر (ع) قال: "إن □ ملائكةٌ موكِّلين بالصائمين يستغفرون لهم في كلِّ يومٍ من شهر رمضان إلى آخره وينادون الصائمين في كلِّ ليلةٍ عند إفطارهم ابشروا عباد □ (الحديث)" . أمّا الجائزة العظمى والورقة الفائزة في هذا الشهر فهي ليلة القدر التي جعل □ الثواب فيها خير من ثواب ألف شهر فيما سواها ، أي ما يزيد على عبادة ثلاثة وثمانين سنة (ليلة القدر خيرٌ من ألف شهرٍ) ، هذا فيما إذا كان الألف رقمًا حقيقيًا ، أما إذا كان الألف رقمًا نسبيًا للدلالة على الكثرة كما يقال في الأربعين والسبعين ، وكما يقول الناس في وصفهم (لو توصل بي ألف مرة لما أجبتة لما يريد) ، فعند ذلك يمكن أن نتصور كم ألف تعدل هذه الليلة المباركة إذا توفَّق الإنسان لأدائها بشروطها التي يريد □ ، وكم هو مدى عطاء □ وكرمه وفضله على عباده . ▶